

نظرة عن المعالم الأثرية بمدينة تلمسان الواردة في الكتابات الوقفية.

د. ليلي مرابط

معهد الآثار (جامعة الجزائر 02)

meraleila@yahoo.fr

ملخص:

للكتابات الوقفية دورا هاما في الأبحاث الأثرية لكونها مرآة للمجتمع الذي تم فيه تحرير نصوصها، وهي وثائق رسمية قضائية منفذة على المادة الصلبة كالرخام والحجارة، وهي غير قابلة للتزوير، علاوة على هذا فإن كتابتها تخضع لشروط دينية مذهبية، والتي حددها الفقهاء منها: أن من شروط الموقوف أن يكون المال الموقوف معلوما علما تاما أي أن لا يكون مجهولا، لأن الجهالة تؤدي إلى النزاع وهذا ما ينفي الوقف.

ولهذا فإنها تحمل في مكنونها معطيات ووصفا دقيقا للمعالم الأثرية التي وقفت وتحدد مواقعها بالضبط، وهذا يمكننا من إعادة وضع تصور كامل لأي مدينة كانت؛ حيث تعتبر مدينة تلمسان من المدن الجزائرية التي تزخر بعمران إسلامي فريد من نوعه، وما ساعد أيضا على التعرف عليها وهي تلك الكتابات الوقفية التي علقت على مبانيها، فمنها ما يزال في مكانه ومنها ما هو محفوظ بالمتاحف الجزائرية؛ ومن خلال هذه الكتابات الوقفية تم تحديد بعض المنشآت من حوانيت، جوامع ومساجد، زاويا، معاصر، طاحونات وفنادق... إلخ.

الكلمات المفتاحية: كتابات وقفية، مدينة تلمسان، طاحونة، جامع.

Résumé :

Les inscriptions wakfs sont des textes officiels sculptés sur des plaques en marbre ou en pierre de formes différentes, scellées dans les murs des monuments qui sont des biens de main-morte, une partie d'elles sont encore sur place par contre l'autre partie elle est conservée dans les musées d'Algérie ; la ville de Tlemcen possède le plus grand nombre de ces inscriptions wakfs.

Ces textes sont intéressants car ils nous donnent d'abord non seulement l'énumération d'important monuments historiques tels que les bains, les foundouks, les moulins..., mais encore leurs emplacement exact ce qui nous aide à établir un plan de la ville représentant les différentes occupations historiques.

Mots clés: inscriptions, wakfs, Tlemcen, foundouk, bains.

تعتبر مدينة تلمسان من بين المدن الجزائرية التي تزخر بنسيج عمراني فريد من نوعه يعود إلى فترات تاريخية إسلامية عديدة ومختلفة، مما جعلها نموذجا حيا للنسيج العمراني الإسلامي للمغرب الأوسط، حيث تعطي مدينة تلمسان نظرة كاملة عن أنواع متنوعة للعمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط مثل: الجوامع والمساجد، المدارس، الزاوية، الفنادق، الطاحونات، الحوانيت. فمن خلال هذا المقال سأحاول إعطاء لوحة زيتية لبعض المنشآت المعمارية المتبقية والمندثرة بمدينة تلمسان، وذلك اعتمادا على الكتابات الوقفية المنقوشة على اللوحات المصنوعة من الرخام والحجر، والتي قدر عددها بمدينة تلمسان بثلاث عشر كتابة منها أربع كتابات ترجع للفترة الزيانية، و كتابة واحدة للفترة المرينية وأربع كتابات للفترة العثمانية و أربع كتابات غير مؤرخة.

1- الجوامع والمساجد:

كان بمدينة تلمسان ما قارب ستون مسجد حسب قول بارجس، فمنها ما ندر قبل دخول الفرنسيين للمدينة ومنها ما هدم من قبلهم؛¹ حيث بمجرد إستقرار الأمور السياسية للفرنسيين في مدينة تلمسان قامت الإدارة الإستعمارية باتخاذ إجراءات لإعادة تنظيم المؤسسات الدينية الإسلامية، وانحصرت هذه عملية ما بين الفترة الممتدة بين سنتي 1845-1851، وفي سنة 1851 لم تعترف الإدارة الفرنسية إلا بثلاثة عشر مسجد، والتي تم تقسيمها إلى خمسة أنواع ووضع لخدمة هذه المساجد أفراد يختلف عددهم من مسجد إلى آخر حسب الأهمية التي يتميز بها كل مسجد؛² كما قام الفرنسيون سنة 1848 بإحصاء المساجد³ التي كانت لها أوقاف وتمثلت في تسعة عشر مسجد: وهي مسجد أبي الحسن، الجامع الكبير، جامع سيدي بومدين، مسجد سيدي الجبار⁴، مسجد سيدي البرادة، مسجد سيدي قلايجي، مسجد لالا مرفودة، مسجد لالا الغربية، مسجد سيدي عمران، مسجد سيدي عياد، مسجد سيدي زكري، مسجد المزوار، مسجد سيدي أحمد، مسجد سيدي الوزان، مسجد سيدي المراغي، مسجد سيدي شعيب، مسجد الشرفاء، مسجد سيدي يعقوب.⁵

¹ Bargès, J.J.L., Tlemcen souvenirs d'un voyage, imprimerie orientale de Nicolas Amenlon, Paris, 1859,

² Lecocq, A., Histoire de Tlemcen, ville française, tome:1, l'administration militaire, 1842-1852, p.221-223.

³ لم يبق من هذه المساجد سوى تسعة قائمة وعشرة قد اندثرت تماما. للمزيد من المعلومات أنظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص.207.

⁴ لقد ذكر لوكوك-Lecocq مرتين هذا المسجد، أو قد يتعلق الأمر بمسجد آخر يحمل نفس الاسم.

⁵ Lecocq, A., Op.Cit., p.226.

أ- **مسجد سيدي السنوسي**⁶: ذكر هذا المسجد في نص الوقفية الأولى في السطر الثاني " أما بعد فهذا تقييد حبس الشيخ البركة سيدي محمد السنوسي.."⁷ يقع مسجد سيدي السنوسي في الطريق المعروف قديما بطريق البرادعيين⁸، نسبة إلى سوق البرادعيين؛ يوجد هذا المسجد عند مدخل درب المسوفة⁹؛ أرخ مسجد سيدي السنوسي بنهاية القرن 8هـ / 14م أو بداية القرن 9هـ / 15م، لأن هذا المسجد كان موجودا من أيام سيدي السنوسي، الذي كان إماما ومدرسا بهذا المسجد، ولهذا سمي هذا المسجد بإسمه.¹⁰ وهذا المسجد لا زال قائما.

ب- **مسجد لالا الغربية**: ورد ذكره في السطر الثاني من النص الوقفي في العبارات: "هذا تقييد أحباس مسجد السيدة الغربية بالقران السفلي نفعا..."¹¹ ينتسب هذا المسجد لسيدة فاضلة وطاهرة ملقبة بالسيدة

⁶ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي الحسني، من أبيه نسبة إلى قبيلة بني السنوس القاطنة في الجبال الواقعة غرب تلمسان، التي نشأ بها سنة 832هـ/1428م، والحسني، من أمه نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كان السنوسي ملما بالعديد من العلوم وذلك لتتلمذه على علماء أجلاء فأول ما تلقى العلم عنه هو أبيه، وعلى جماعة من العلماء أمثال: الشيخ العلامة ناصر الزواوي و محمد بن تومرت الصنهاجي، وأخذ علم الإسطرلاب عن الشيخ أبي عبد الله الحباك، وقرأ الأصول و المنطق والبيان والفقه عن الإمام محمد بن العباس، فكان طبيبا وإماما من القرن العاشر، كما له تأليف كثيرة تبلغ ما يقارب خمسة وأربعين، منها "شرح صحيح البخاري" لم يكمله، " وشرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن الياصمين" و "تفسيره سورة ص وما بعدها من صور" و "مجربات في الطب"؛ توفي سيدي السنوس سنة 895هـ/1490م، ودفن على هضبة، في الطريق المؤدي لسيدي بومدين، حيث أصبح هذا المكان مقبرة للمسلمين ويعرف بمقبرة سيدي السنوسي. أنظر: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.، ص. 236، 237، الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 511، محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في السياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 209، الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم بأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1995، ص. 154 و

Marçais, G., et W., les monuments arabes de Tlemcen, ancienne librairie Thorin et fils, Albert Fontemoing, éditeur, Paris, p.340.

⁷ للمزيد من المعلومات حول نصوص هذه الكتابات الوقفية أنظر: ليلي مرابط، الكتابات الوقفية في المغرب الأوسط، من القرن السابع إلى الثالث عشر الهجريين/ الثالث عشر إلى التاسع عشر الميلاديين، دراسة تاريخية- أثرية، شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2016، ص. 313.

⁸ أما في الفترة الإستعمارية، فكان يعرف بطريق معسكر، وحاليا يعرف بنهج محمد مرابط، والبرادعيين هم صانعي البرادع التي تحمل على ظهور الحمير لتقيها من الدبر حين حمل الأثقال عليها، وهذه السوق كان موقعها بين الموقف الحالي والسوقة أي حول مسجد الشيخ السنوسي، ويوجد بتلمسان باب يدعى باب سيدي البرادعي. أنظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 334.

⁹ حي درب المسوفة، الواقع مدخله تحت جامع الشيخ السنوسي ومسوفة إسم قبيلة كبيرة من قبائل المرابطين. أنظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 66.

¹⁰ Brosselard, Ch, Les inscriptions arabes de Tlemcen », in, *Revue Africaine*, n°15, 1861, p.321.

¹¹ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص. 281.

الغربية، كان سكان حي القرآن يولوا إحتراما خاصا لها؛ عاشت "لالا الغربية" في فترة غير معروفة، واشتهرت هذه السيدة بالبركات خلال حياتها وحتى بعد موتها.¹² لا زال هذا المسجد موجودا.

ت- **مسجد سيدي عمران**¹³: ذكر جامع سيدي عمران في السطرين الأول والثاني من النص الوقفي "... الحمد لله هذا ابيان جامع سيدي/ عمران..."¹⁴ وهذا الجامع هو الذي وقفت عليه بعض العقارات والأراضي؛ كان يقع هذا الجامع غير بعيد عن جامع أولاد الإمام، إلا أنه اندثر منذ سنوات عديدة، بينما بقيت أنقاضه ظاهرة، التي عثر فيها على هذه الوقفية التي تتضمن قائمة بأوقاف الجامع.¹⁵

ث- **مسجد سيدي زكري**¹⁶: ذكر اسم هذا المسجد في نص الوقفي في السطر الثاني "...جامع سيدي زكري..." يقع مسجد سيدي زكري في الجهة العلوية من حي باب الحديد، وأرخ هذا المسجد بالقرن 9/15م.¹⁷ ولا زال هذا المسجد موجود إلى يومنا هذا.

ج- **مسجد الرؤيا**: ورد ذكر هذا المسجد في النص الوقفي في السطر الأول: " الحمد لله بيان حبس جامع الريا..."¹⁸ يقع مسجد الرؤيا في الحي الذي كان يعرف بـ "حارة الرماة"،¹⁹ جمع رام وهو صانع الرمي والنبال أو السهام للقوس؛ حيث كانت توجد بهذه الحارة حرفة صناعة الرمي، إلا أن الحرفة قد اندمعت كليا.²⁰ وهذا المسجد لا زال موجودا.

كما يروى عن هذا المسجد أنه خصص لدفن امرأة سالحة، وهي السيدة التي تلقب بـ "لالا الرؤيا"، وتذكر الأساطير أن هذه المرأة، كانت تعيش منذ حوالي ثلاثة أو أربعة قرون، ويحكى أنها كانت موهوبة بقوة فوق طبيعية، إذ أنها كانت تفسر الأحلام، وتنتبأ بالغيب، وتشفي كل أنواع الأمراض التي لها علاقة

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°33, 1862, p.167.

12

¹³ يذكر بروسار أن هذه الشخصية غير معروفة تاريخيا، وكل ما يعرف عن سيدي عمران أنه شخص صالح، والدليل عن صلاحه، هو تسميت هذا المسجد باسمه.

p.18.

¹⁴ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.298.

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°31, 1862, p.18.

15

¹⁶ هو أحمد بن محمد بن زكري ينسب إلى عائلة كبيرة من العلماء المتفوقين، الذين اشتهروا في مدينة تلمسان، خلال القرنين 8-9 هـ/ 14-15م، وكان سيدي زكري معاصرا لسيدي السنوسي؛ كان والدها فقيران وكانت ظروفهما بسيطة، إلا أنهما أحاطا إبنيهما الوحيد بحسن التربية، فأدخلاه إلى المدرسة، حيث تلقى أولى دروسه الدينية، أبدى منذ هذه الفترة استعداده للدراسة؛ علاوة على نضج عقله المذهل؛ مات أبوه ولا يزال صبيا، فاضطرت أمه إدخاله لتعلم صناعة الحياكة مقابل مبلغا من المال، وترك الدراسة، فمكث عند معلمه حتى تعلم النسيج؛ وذات يوم قدم سيدي أحمد بن زاغو، فأعجب بذكائه، وساعده في متابعة دراسته. ألف الشيخ أحمد بن زكري كتبا عديدة منها ما تتعلق بمسائل القضاء والفتيا، كشرح عقيدة ابن الحاجب سماه بغية الطالب، ومنظومته الكبرى في علم الكلام في أكثر من ألف وخمسمائة بيت، وشرح الورقات لإمام الحرمين أبي المعالي في أصول الفقه، كما لديه فتاوى كثيرة، نقلها الونشريسي في كتابه المعيار؛ توفي سيدي أحمد بن زكري سنة 900هـ/1494م، وهو مدفون بالقرب من سيدي السنوسي، بالمقبرة التي تعرف باسمه. أنظر: ابن مريم، المرجع السابق، ص.38-40.

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°31, 1861, p.161, et n°29, 1861, pp.334, 335.

Idem, n°27, 1861, 169.

17

¹⁸ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.220.

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°33, 1862, p.161.

19

²⁰ الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص.332.

بالصداع، وبقي الناس يزورون ضريح هذه المرأة الصالحة طامعين في بركاتها، بحيث أصبح المسجد مزارا من قبل الناس.²¹

ح- **مسجد سيدي مهماز**: ذكر هذا المسجد في الكتابة الوقفية لسيدي زكري في السطر السابع والثامن في العبارات التالية: "ثم ثلاثة أخماس شركة جامع سيّد/ مهماز..²² حيث موقع هذا الجامع غير معروف ويذكر (بروسلار - Brosselard) أن هذا الجامع الذي لم يتبق منه سوى المئذنة في فترة ما، حولى فيما بعد إلى مكتب للشرطة الفرنسية.²³ يعد هذا المسجد من المساجد المندثرة.

خ- **مسجد ابن مرزوق**²⁴: وفي وقفية مسجد لالا رؤيا في السطر التاسع عشر: "... جامع بن مرزوق...²⁵ هذا المسجد لا زال قائما حيث يذكر محمد شاوش في تعداد المساجد المتبقية في مدينة تلمسان، أن مسجد ابن مرزوق يعرف أيضا باسم "الكرمة"،²⁶ ويقع هذا المسجد في شارع بن اشنهو مراد (درب الصباغين قديما).²⁷

د- **مسجد الشرفه**: ذكر هذا المسجد في وقفية مسجد لالا الغربية في السطر الثالث والعشرين: "جامع الشرفه...²⁸ وهذا المسجد أيضا لا زال موجود ويعرف اليوم "بمسجد الشرفاء" يقع هذا المسجد عند تقاطع طريقي كل من نهج الإخوة علالي وشارع ابن خلدون (درب السبابية).²⁹

ذ- **مسجد درب الشول**: ذكر هذا المسجد في وقفية الأولى لمسجد سيدي السنوسي في السطر السابع عاشر في العبارات التالية: "...شركة جامع درب الشول...³⁰ جامع درب الشول الذي يذكر عنه بروسلار أنه اندثر، بينما درب الشول كان يعرف بـ "معزوز".³¹

ر- **مسجد درب الحمامين**³²: أما في الوقفية الثانية لمسجد سيدي السنوسي في السطر الثاني والعشرون والثالث والعشرون يذكر مايلي: "...مسجد/ درب الحمامين...³³ يذكر بروسلار أن هذا المسجد كان لا

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°33, 1862, p.161-162.

21

22 للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.192.

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°27, 1861, 172.

23

24 وهو أبو الفضل محمد بن محمد بن مرزوق المعروف بالكفيف، ولد بتلمسان سنة 824هـ/ 1421م، وهو ولد ابن مرزوق الحفيد، ترعرع بتلمسان ودرس على قاسم العقباني وأبي الفضل ولد بن الإمام الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وارتحل إلى المشرق فمر بمصر حيث استقبله شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ودخل مكة سنة 861هـ/ 1457م، فأخذ عنه علم الفقه والأصول والعربية والمنطق، ثم عاد إلى تلمسان فأخذ عنه الكثيرون منهم ابن أخته الخطيب ابن مرزوق وابن العباس الصغير، وكانت وفاته 901هـ/ 1496م، وقيل عنه أنه كان "عالم الأعلام وحجة". أنظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص.441.

25 للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.314.

26 الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص.207.

27 للمزيد من المعلومات حول هذا المسجد أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، جرد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان - دراسة تمهيدية لوضع الخريطة الأثرية- أطروحة مقمنة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015، ص.77.

28 للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.282.

29 للمزيد من المعلومات حول هذا المسجد أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص.47.

30 للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.315.

31

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°5, 1861, p.326.

يزال موجود في وقته، وهو معروف "بمسجد سيدي زايد"³⁴، أما درب الحمامين فكان يقع قرب جامع أبي الحسن التنسي، حيث أصبح هذا الدرب اليوم دور للسكن؛³⁵ فعلا لا زال هذا المسجد موجود إلا يومنا هذا ويعرف كما ذكر بروسلا - بمسجد سيدي زايد، وهو يقع في الجهة الغربية من المدينة ويسميه البعض بمسجد الحمامين نسبة للدرب.³⁶

2- الزاوية:

هي عبارة عن مسجد صغير ليس به مئذنة ولا منبر، به ميضأة وضريح للمؤسس أو أحد الأولياء الصالحين، تقام فيه الصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة والعيد، وتصميمها أقرب إلى المدرسة ذات الإيوانات منه إلى المسجد، و تلحق بها عادة قاعات خاصة للخدمة، يقوم بإدارتها شيخ وخدم وموظفون للسهر على خدمة المقيمين فيها والواردين عليها من المتصوفين الذين كانوا ينتقلون من زاوية إلى أخرى سعيا وراء المعرفة ورغبة في الزهد والنقشف؛ حيث كانت ملجأ ومأوى للفقراء والمساكين وابن السبيل إذ يتم إطعامهم وكسوتهم وصرف رواتب نقدية وجرايات عينية لهم.³⁷

ويعرف ابن مرزوق الزوايا في المغرب الإسلامي قائلا: "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين".³⁸ تم ذكر الزاوية في الكتابة الوقفية للزاوية اليعقوبية التي بناها السلطان أبي حمو موسى الثاني على ضريح أبيه وعميه في السطر السابع في العبارات التالية: "وصلى الله مفاخرة وخلد آثاره الكريمة ومآثره على هذه الزاوية".³⁹

كانت تقع هذه الزاوية في الجهة الشرقية من الجامع وذلك كما هو ظاهر على الخريطة⁴⁰ التي وضعت لتحديد المنشآت العسكرية الفرنسية سنة 1847 (الخريطة 01)، حيث يظهر عليها بعض المباني التي كان يتكوّن منها مجمع سيدي إبراهيم (الضريح، الجامع والزاوية) إلا أنه اليوم لم يتبق من هذه البنايات سوى الجامع والضريح و جزء من المقبرة المالكية المعروفة بروضة آل زيان.

³² هم من يزاولون الحجامه عند ارتفاع ضغط الدم باستعمال المحجمة، وهي آلة تفرغ من الهواء وتوضع على القفا، فيحدث تهيجا ويجذب الدم بقوة، وتسمى هذه الآلة بتلمسان القارورة؛ وكان الحجامون يزاولون كذلك الحلاقة و الختان وقلع الأسنان والأضرس بآلة الكلاب، وكان يقع هذا الدرب قرب جامع أبي الحسن حيث أصبح اليوم دور للسكن. أنظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص.333.

³³ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.319.

³⁴ Brosselard, Ch., Op. Cit., n°29, 1861, p.331.

³⁵ الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص.333.

³⁶ للمزيد من المعلومات حول هذا المعلم، أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص.66.

³⁷ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص.129-128.

³⁸ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمد بوعياض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.413.

³⁹ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.75.

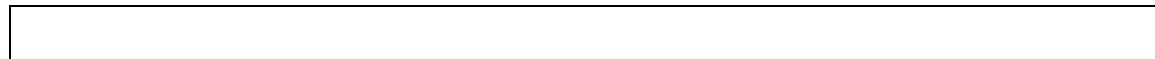
⁴⁰ Charpentier, A., et autres, L'image de Tlemcen dans les archives français, catalogue de l'exposition, réalisée sous l'égide de l'ambassade de France en Algérie, Tlemcen, 2011, p.100.

كما تم الإشارة إلى الزاوية التي كانت موجودة في منطقة العباد التي كانت تابعة لمجمع سيدي بومدين في السطرين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين في العبارات: "... برسم اطعام الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء/ والحجاج المقيمين ثلاثة أيام والواردين عليها..."⁴¹

ولكن تحديد موقع هذه الزاوية بالضبط يعد موضوع صعب، يذكر ابن قنفذ القسنطيني في وصفه لضريح سيدي بومدين، أن الزاوية تقع على مقربة من الضريح قائلا: "وقبره في بيت صغير... فهو أنك إذا دخلت البيت، فارجع على يمينك مستقبلا، فالذي يقع على يسارك هو قبره... وتحت هذا البيت وبجواره قبور كثيرة متزاحمة لالتماس بركة الشيخ أبي مدين رضي الله عنه. وزاويته قريب منه... وبجواره جامع للخطبة ومدرسة للعلم."⁴²

كما يؤكد حسن الوزان على وجود مكان للإيواء الغرباء ولكن يسميه فندق وليس بزاوية في وصفه لمنطقة العباد قائلا: "العباد مدينة صغيرة شبه روض، تقع في الجبل... وبها دفن ولي كبير... يوجد ضريحه في جامع... وهناك أيضا مدرسة جميلة جدا، وفندق لايواء الغرباء، أسسها بعض ملوك فاس من بني مرين، حسبما يقرأ ذلك في الرخامتين المنقوش عليهما أسماؤهم."⁴³

بينما يذكر الأخوان مارصي أن الدار المعروفة اليوم بـ "دار لوكيل" الواقعة في الجزء الشمالي - الغربي للجامع، كانت حتى نهاية القرن 12هـ/18م زاوية تستقطب الزوار الوافدين على الضريح، وكان تخطيطها الداخلي مغاير لما هي عليه؛ وذلك اعتمادا لأقوال شيوخ منطقة العباد خلال فترة الاحتلال الفرنسي.⁴⁴ (المخطط 01)



⁴¹ للمزيد حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص. 126.

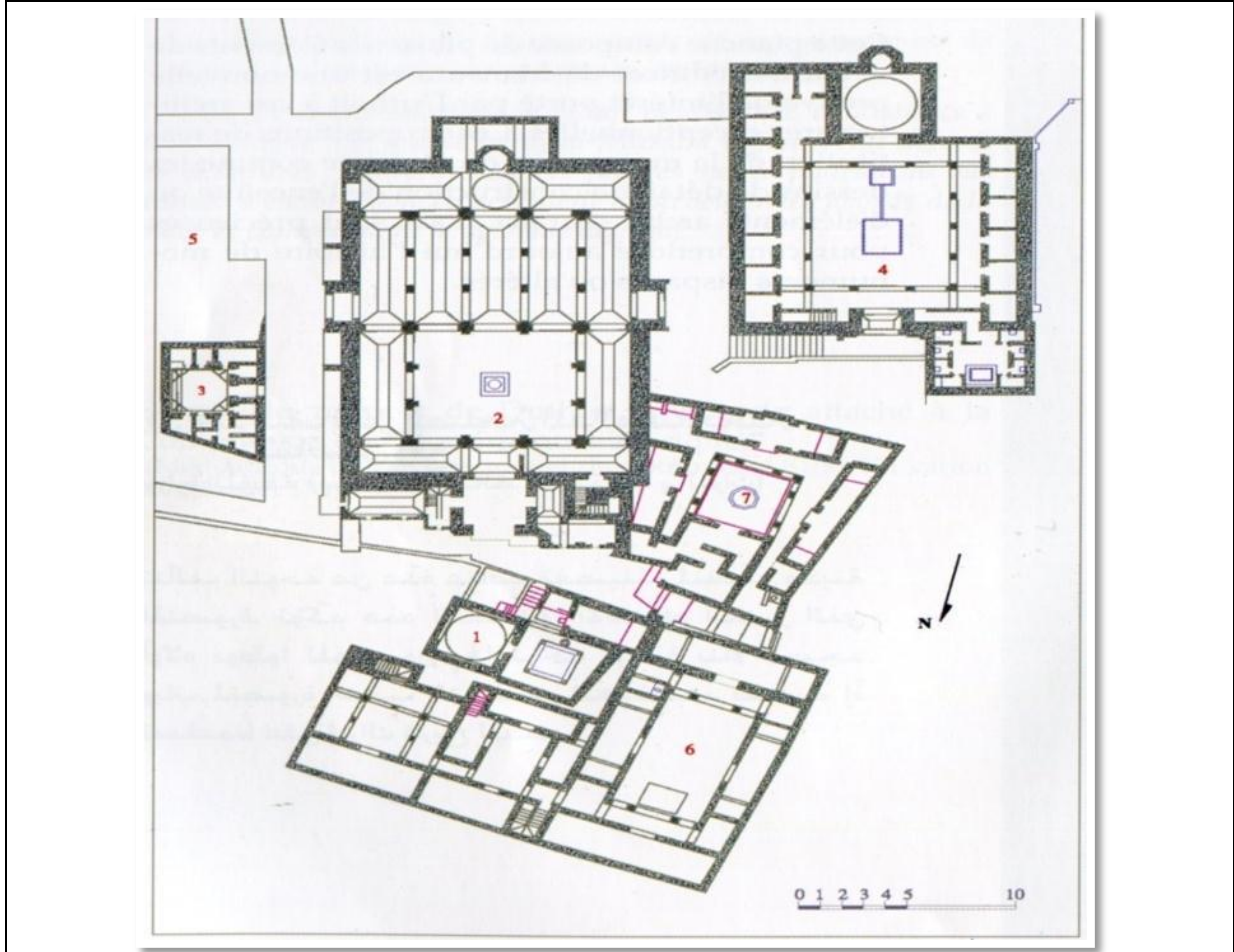
⁴² ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، إعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي و أودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص. 105 و 106.

⁴³ حسن الوزان، وصف إفريقيًا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، الجزء الثاني، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983، ص. 24.

⁴⁴ Marçais, G. et W., Op. Cit., p.278.



103



المخطط 01: تلمسان، مجمع سيدي بومدين المعمارية، المسقط الأفقي.

بتصرف عن (دليل معرض تلمسان 2011).

(1) الضريح، (2) الجامع، (3) قاعة الوضوء، (4) المدرسة، (5) الحمام، (6) القصر، (7) دار وكيل الأحباس (والتي يفترض أنها الزاوية)

3- حوانيت الصاغة:

كانت تقع هذه الحوانيت بجوار مسجد أبي الحسن، تتمثل في أربعة وعشرون حانوتا، وهي موزعة كالتالي أربعة عشر حانوت مبنية وراء جدار القبلة وستة مقابلة له أي في الواجهة الجنوبية، كما هو مذكور في النص المركزي في السطرين الثاني والثالث: "وحبس لهذا المسجد/ عشرون حانوتا منها بحائط قبلته/ أربعة عشر وأمامها ستة/ أبوابها تنظر للجوف/ ومصرية بغربي المسجد على باب/ الدرب وداران ثنتان (كذا) بغريبه.⁴⁵

إذا نظرنا إلى صورة المسجد اليوم، لوجدناه مستقل بواجهاته الثلاث، فالواجهتان الشرقية-الشمالية بهما طريقان رئيسيان متقاطعان وهما نهج العقيد جبار وشارع 26 نوفمبر، مما أدى إلا تهديم الستة حوانيت،

⁴⁵ حول النص الكلي للوقفية أنظر: مرابط ليلي، المرجع السابق، ص. 58.

التي كانت تتقدم جدار الواجهة الشمالية، وتهديم أيضا لحانوت ومنزلين في الواجهة الشرقية، (اللوحة 01) ونفس الملاحظة للواجهة الجنوبية التي كان بها أربعة عشر حانوت. (اللوحة 02)

تبين (اللوحة 02، ب) الحوانيت، التي كانت موجودة في الواجهة الجنوبية، إذ كانت تعرف الطريق التي بها هذه الحوانيت، في الفترة الإستعمارية بحي الصاغة، فبدون شك أن هذه الحوانيت، منذ وقفها على المسجد، كانت مختصة في صناعة وبيع الحلّي، وبقي بعد ذلك هذا الحي يمارس نفس الحرفة؛ وهذا ما يؤكد لنا الحاج شاوش قائلا: "والحي لا يزال يحمل هذا الاسم وموقعه قرب مسجد سيدي أبي الحسن".⁴⁶ بينما يذكر محمد الطمار: "فقد وقفوا عليه (أي مسجد أبي الحسن) كراء عشرين دكان لاصقة بالمسجد: ستة تفتح أبوابها شمالية وأربعة عشر خلف المحراب. كان يصنع بها الأسلحة قبل أن تتغير الأحوال فيحلّ بها الصياغون".⁴⁷ وبما أن ما ذكره محمد الطمار لم يهمل في كتابه، إذ لا نعلم من أين إستمد هذه المعلومات، و يبقى ما قاله قابلا للإثبات أو النفي.

إلا أن الواجهة الجنوبية، حيث كان يوجد الأربعة عشر حانوت الملاصق لجدار القبلة، كما نصت عليه الوقفية، لم تعد لها وجود، ويلاحظ في بقية الجدار الجنوبي الملاصق لقاعات العرض المضافة بعض الحوانيت ذات البناء الحديث. (اللوحة 02، أ)

يذكر أيضا في وقفية الزاوية اليعقوبية المؤرخة بسنتي مؤرخة في 763 هـ/1361-1362م، و 765 هـ/1363-1364م، في السطرين السابع والثامن في العبارات التالية: "القريبة بعد الثان و الثلاثون حانوتا المعروفة/ بالصاغة القديمه..."⁴⁸ حوانيت الصاغة التي تقدر عددها بـ 32 حانوت، ويتعلق الأمر هنا بتلك الحوانيت الخاصة بالصاغة التي وقف منها أربعة عشر حانوت على مسجد أبي الحسن التنسي، وبدون شك بمرور الوقت زاد عدد هذه الحوانيت، وأصبح إثنان وثلاثون حانوت لها نفس الحرفة، وكانت هذه الحوانيت تمتد من الواجهة الجنوبية لمسجد أبي الحسن في إتجاه جامع سيدي ابراهيم عبر طريق الحالي المعروف بطريق معركة فلوس، وأصبح هذا الشارع يعرف بالصاغة القديمة لأنه يرجع تأسيسه إلى سنة 696 هـ/1296م، كما جاء في وقفية مسجد أبي الحسن التنسي، وبقي يعرف بحي الصاغة، حتى الإحتلال الفرنسي للجزائر، إلا أن اليوم لم يعد وجود لهذه الحوانيت.

⁴⁶ الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 332.

⁴⁷ محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص. 111، 112.

⁴⁸ مرابط ليلي، المرجع السابق، ص. 75، 76.



أ: الواجهتان الشرقية- الشمالية الحالية.



ب: الواجهتان الشمالية -الشرقية في الفترة الإستعمارية
عن (أرشيف المتحف الوطني للآثار القديمة).
اللوحة 01: منظر عام لمسجد أبي الحسن بتلمسان.



أ: الواجهة الجنوبية. (الفترة الاستعمارية)
عن (أرشيف المتحف الوطني للآثار القديمة)



ب- الواجهة الجنوبية حاليا.
اللوحة 02: الواجهة الجنوبية لمسجد أبي الحسن بتلمسان.

4- الطاحونات:

كان بمدينة تلمسان عدد كبير من الطاحونات التي كانت تطحن القمح و غيره من الحبوب، كانت تقع في موضوعين مختلفين فمنها ما كان بالجهة الشرقية ومنها ما كان موجود في الجهة الجنوبية، وهذا ما أكدته لنا النصوص الوقفية وكما أثبتته أيضا المصادر التاريخية والمراجع الفرنسية.

هذه الطاحونات التي كانت تقع في الجهة الجنوبية خارج أسوار المدينة والتي ورد ذكرها في النص الوقفي لزاوية سيدي يعقوب (سيدي إبراهيم المصمودي حاليا) في السطرين العاشر والحادي عشر في العبارات التالية: "وبخارج البلد المذكور جميع/ الرحا السفلى بقلعة بني معلى".⁴⁹

كما ذكرت أيضا نفس الطاحونات الموجودة بالقرب من قلعة بني معلى في الجهة الجنوبية وتلك الواقعة في منطقة لوريط في الجهة الشرقية في الكتابة التأسيسية ووقفية سيدي بومدين في السطور الواحد والعشرون و الثاني والعشرون وثلاثة والعشرون من النص في العبارات التالية: "...مع جميع بيتي/ الأرحا (كذا) المبنين بقره وذلك بجهة الوريط وجميع بيتي الأرحى) المبنين أيضا بقلعة/ بني معلى خارج باب كشوطة من تلمسان حرسها الله...".⁵⁰

تتمثل هذه الطاحونات التي كانت تقع بقلعة بني معلى⁵¹، خارج باب التوتية، وهو الباب الثاني للمشور، الذي يتصل بالجهة الخارجية للمدينة أي المنطقة الريفية، حيث كانت الطريق المؤدية إليها تعرف بطريق الأرحاء، لاحتوائها على عدة أرحاء تطحن الحبوب لاستخراج الدقيق منها، تحركها المياه الغزيرة الجارية في كل مكان.⁵²

ولحسن الحظ أيضا مكنتنا تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2011، من كشف ونشر وثائق هامة،⁵³ ومن بين هذه الوثائق: وثيقة تظهر لنا مخطط لطاحونة قديمة بها عجلة كانت تدير الماء، وهذه الطاحونة تؤكد على وجود طاحونات بهذا المكان حتى القرن 13هـ/19م، على منحدرات هضبة "لالا ستي"، (المخطط 02) إلا أنها إندثرت اليوم ولم يبق منها شيئا.⁵⁴

⁴⁹ مرابط ليلي، المرجع السابق، ص. 76.

⁵⁰ نفسه، ص. 125-127.

⁵¹ تعتبر هذه القلعة عبارة عن حصن يبعد عن المدينة بـ 1 كلم، حيث تقع هذه القلعة أسفل الموضع المعروف بالصخرتين. أنظر:

Bargès, J. J.L., Op. Cit., p.352.

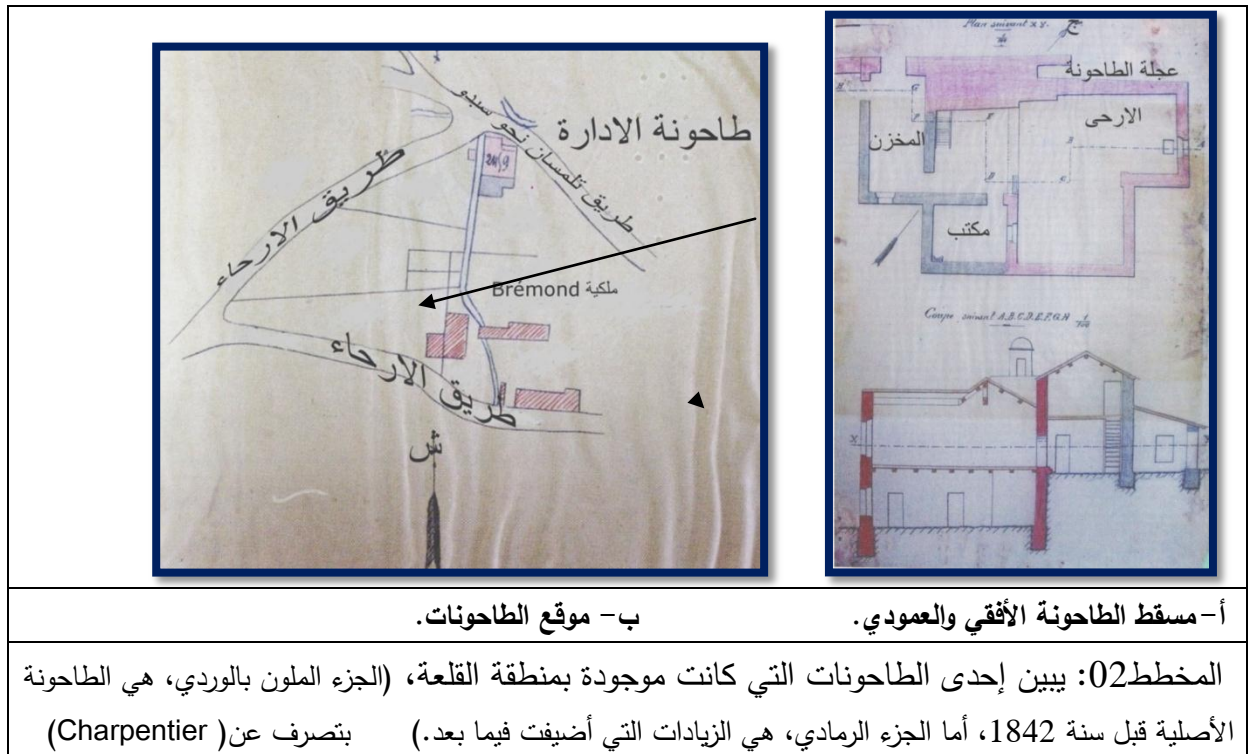
⁵² الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 323-324.

⁵³ رغم أهمية هذه الوثائق (مخططات، صور... إلخ) التي نشرت في كاتالوج معرض معنون بـ "صورة تلمسان من خلال الأرشيف"، إلا أنه لا يمكن أن يستفاد منها إستفادة حقيقية لأنها غير واضحة، وخاصة المخططات التي تبين منشآت هامة للمدينة، لا نستطيع إستغلال مضامينها إستغلالا جيدا. أنظر:

Charpentier, A., et autres, L'image de Tlemcen dans les archives français, catalogue de l'exposition, réalisée sous l'égide de l'ambassade de France en Algérie, Tlemcen, 2011, p.155.

Idem, p.68.

أعطانا هذا المخطط فكرة عن شكل الطاحونات التي كانت موجودة في العهد الزياني والمريني والعثماني، وإعتمادا على التخطيط، نلاحظ أنها كانت تشمل على قاعة بها عدة أرحى، تدبرها العجلة الواقعة في السور الخارجي، كما يوجد بها مخزن القمح أو الدقيق المطحون وغير المطحون. ما يؤكد أيضا على وجود هذه الطاحونات ما ذكر في المصادر الذي جاء يدعم ما كتب في النصوص الوقفية السالفة الذكر، فيما قاله كل من يحيى ابن خلدون حينما كان يوصف أودية تلمسان قائلا: "...وماؤها مجلوب من عين لوريط، على قيد ستة أميال، ويجاورها وادي اصطفصيف، المنصب من شاهقها، عليه مدار ارحائها".⁵⁵ وما ذكره شريف الوزان حول الطاحونات التي كانت موجودة بمدينة تلمسان فيقول: "وعلى بعد نحو ثلاثة أميال شرق المدينة ترى عدة أرحية لطحن القمح على نهر يدعى سفسيف، وترى أخرى قرب المدينة على منحدرات رأس القلعة إلى جهة الجنوب".⁵⁶ وخير شاهد على وجود هذه الطاحونات أيضا ما ذكره (برجس-Bargès) الذي قام بجولة استكشافية إلى جميع المناطق والمعالم الأثرية بتلمسان سنة 1876 قائلا: "...ومن أعلى هذه المنحدرات (أي لالا ستي) الوعرة تصب المياه، التي تجمع في الوادي وهذه المياه، هي التي كانت في الماضي، تقوم بدوران اثنتي عشرة طاحونة والتي لا تزال آثارها موجودة على طول التل".⁵⁷



ب- موقع الطاحونات.

أ- مسقط الطاحونة الأفقي والعمودي.

المخطط 02: يبين إحدى الطاحونات التي كانت موجودة بمنطقة القلعة، (الجزء الملون بالوردي، هي الطاحونة الأصلية قبل سنة 1842، أما الجزء الرمادي، هي الزيادات التي أضيفت فيما بعد). بتصرف عن (Charpentier)

⁵⁵ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزء الأول، الجزائر، 1980، ص. 91.

⁵⁶ حسن الوزان، المرجع السابق، ص. 20.

⁵⁷

Bargès, J. J.L., Op. Cit., pp.131, 132.

5- الفنادق:

وهو المكان الذي ينزله التجار والمسافرون؛ ويعتبر الفندق وحدة معمارية تتكون من حوانيت من الخارج وحوش من الداخل، تحيط به مخازن، يعلوها وحدات سكنية.⁵⁸ وتقع هذه الفنادق في المغرب الإسلامي عادة إما بداخل المدينة وفي ضواحيها، أو خارج أسوار المدينة، كما هو الحال في مدينة المهدية وسبتة.⁵⁹ وورد لفظ "الفندق" في وقفية زاوية سيدي يعقوب المعروف اليوم بسيدي إبراهيم المصمودي في النص الوقفي في السطر العاشر في العبارات التالية: "...فمن ذلك ما بداخل تلمسان/ المحروسة.../...بمنشر/ الجلد.../ وفندق العالية"⁶⁰

يقع "فندق العالية" بالقرب من مسجد ابن البناء حيث أرجح أن يكون هذا الفندق هو نفسه الذي ذكر من طرف ابن مريم عند ترجمته لسيدي محمد ابن الغليظ المديوني بإسم فندق المجاري حيث يقول: "كان يؤم في مسجد سيدي ابن البناء في رحبة الزرع عند فندق المجاري"⁶¹ كما أرجح أيضا أن يكون هذا الفندق، الذي لا يزال إلى يومنا هذا، ملاصقا لمسجد سيدي البناء، والذي يعرف اليوم "بنزل المنصور" (الصورة 01) وما يؤكد ما ذهب إليه، هو ما ذكره الحاج شاوش، حيث كان يعرف في وقت الكاتب بنفس التسمية، وهي نفس التسمية التي تطلق عليه اليوم، مع إضافة لقب سيدي، فكان يعرف بـ "سيدي منصور" وأنه كان يقع بساحة الموقف،⁶² آنذاك والتي كانت تعرف في عهد ابن مريم كما سبق الذكر "برحبة الزرع"، (الصورة 02) وعثرت أيضا على صورتين لنفس الفندق، الأولى مؤرخة بسنة 1900 تتمثل في رسم زيتي على القماش، محفوظة بمتحف الأورسي بباريس،⁶³ (الصورة 03)، والثانية تعود أيضا للفترة الإستعمارية (الصورة 04)؛ وإذا تمعنا في هذه الصور المختلفة (الصور 01-04) لاحظنا التغيرات التي طرأت على الفندق، إلا أن الهيكل العام للفندق هو نفسه لم يتغير كثيرا عما كان عليه من قبل.

كما ورد أيضا في وقفية مسجد المشور "فندق واندوري" في السطر الثاني عشر في العبارات التالية: "...من التريعة/ المتحملة على فندق واندوري."⁶⁴ غير أننا لم نستطيع تحديد موقع هذا الفندق لعدم إعطاء

⁵⁸ محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص. 86.

⁵⁹ Mas Latrie, L. De, Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, librairie De Fermin Didot et Cie, Paris, 1886, pp.166-167.

⁶⁰ للمزيد من المعلومات حول النصوص، انظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص. 75، 76.

⁶¹ ابن مريم، المرجع السابق، ص. 275.

⁶² الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص. 344.

⁶³ تلمسان مدينة العيون، جولة أدبية وفنية، مدخل، مجموعة نصوص وتعليق: محمد سهيل ديب، منشورات كونتينونتال باك سيرفيس (CPS)، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011، ص. 25.

⁶⁴ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص. 182.

ولا إشارة حول المكان الذي كان يوجد به، بينما يذكر بروسلاز حول هذا الفندق أنه لم يعد له موجود، وأنه لم يترك ولا ذكرى في أدهان سكان تلمسان.⁶⁵ كما ورد في وقفية مسجد لالا الرؤيا "فندق خليل" في السطر الثامن في العبارات التالية: "... وحنوت فوق فندق خليل بحنوت ثم حنوت في الحدادين"⁶⁶ إلا أننا لم نستطيع تحديد مكان هذا الفندق أيضا لقلة المعلومات عنه.



الصورة 02: فندق سيدي منصور. (عن شاوش)



الصورة 01: نزل المنصور (حاليا).

Brosselard, Ch., Op. Cit., n°22, 1860, p.245.

65

66 للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلى مرابط، المرجع السابق، ص.220.



الصورة 04: الفندق خلال الإحتلال الفرنسي.
عن (تلمسان مدينة العيون)

الصورة 03: الفندق سنة 1900.

6- الحمامات:

أما عن المنشآت المعمارية التي ذكرت في الوقفيات "حمام العالية" الذي نص عليه في وقفية سيدي بومدين التي تعود إلى الفترة المرينية في النص الوقفي في السطر الرابع والعشرين في العبارات التالية: "بحمام العالية الذي بداخل المدينة المذكورة بجهة باب الحديد"⁶⁷ كان يقع بداخل أسوار مدينة تلمسان من جهة باب الحديد، كما ذكر هذا الحمام الرحالة العبدري البنسي سنة 688هـ/1289م، مسميا إياه نفس التسمية "العالية"، ووصفا له أنه كان من أنظف الحمامات بتلمسان قائلا: "حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها وأنظفها حمام العالية وهو مشهور قل أن يرى له نظير."⁶⁸

ويذكر (بروسلار-Brosselard) أن حمام العالية كان موجود منذ 15 سنة، ثم قامت الهندسة المعمارية بتهديمه، وبناء مكانه مخزن كبير للحبوب الواقع على ساحة المشور بالقرب من الخزينة.⁶⁹ أما الحمام الآخر الذي ذكر في نفس الوقفية أي وقفية سيدي بومدين المؤرخة بالفترة المرينية، فهو "الحمام القديم" الذي كان موجود بداخل أسور مدينة المنصورة، كما جاء في النص الوقفي في السطرين السادس والعشرين والسابع والعشرين في العبارات التالية: "والنصف الواحد من الحمام القديم/ الذي بداخل

⁶⁷ ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.125.

⁶⁸ العبدري، المرجع السابق، ص.49.

⁶⁹

مدينة المنصورة حرسها الله.⁷⁰ ولم يعد وجود لهذا الحمام لكون موقع مدينة المنصورة التي بنيت من طرف المرينية، لم يبق منها سوى مئذنة الجامع وبقيت من السور والأبراج. كما ذكر في وقفية مسجد لالا الرؤيا "حمام درب حلاوة" في السطر الثامن عشر في العبارات التالية: "ثم الربع وستة دراهم في حمام درب حلاوة..."⁷¹، وهذا الدرب لا زال معروف إلى يومنا هذا بنفس التسمية "درب حلاوة" وهو يقع بين حي الطحطاحة وحي الرحبية قرب باب الجياد؛⁷² وأرجح أن يكون الحمام المعروف اليوم بحمام مولاي يعقوب بحي الطحطاحة وغير بعيد عن مسجد لالا الرؤيا، هو نفسه هذا الحمام الذي لا زال يشغل وفي حالة جيدة من الحفظ.⁷³

7- المصرية:

يعني لفظ "المصرية"⁷⁴ في المغرب الإسلامي غرفة صغيرة مستقلة ومعزولة ومنفصلة تقع فوق البهو⁷⁵ أو شقة معزولة لمنزل تقع في الطابق العلوي أو فوق دكان، والدخول إليها يكون عبر بهو وهو عن عزلة عن باقي البيت، كانت تستعمل كمسكن للعبيد.⁷⁶ وحتى سنة 1910 م بقيت هذه التسمية تطلق على غرفة صغيرة في الطابق الأول لمنزل، يدخل إليها عبر سلم خارجي.⁷⁷ وفعلا فإن جميع هذه التعاريف تنطبق على المصريات المذكورة في النصوص الوقفية فمنها ماهي مبنية على باب الدرب وهي تلك التي ذكرت في النص الوقفي لكل من: مسجد أبي الحسن التنسي في السطرين الخامس والسادس في العبارات التالية: "ومصرية بغربي المسجد على باب الدرب"⁷⁸ قد تكون هذه المصرية التي هي موقوفة على المسجد، مقر لبعض الخدم القائمين على تنظيف. أما الثانية فهي تلك التي بنيت على باب درب مولاي الطيب الوارد ذكرها في وقفية زاوية مولاي الطيب في السطرين السابع والثامن في العبارات التالية: "...بمصريتها على باب/ الدرب..."⁷⁹

⁷⁰ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.125.

⁷¹ نفسه، ص.221.

⁷² زكي بوزيد، تلمسان مدينة العيون جولة أدبية وفنية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، منشورات CPS، الجزائر، 2011، ص.154.

⁷³ أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، جرد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان -دراسة تمهيدية لوضع الخريطة الأثرية- أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015، ص.254.

⁷⁴ ويقال أن المصرية دور وبيوت صغيرة ومتوسطة تبنى فوق الحوانيت ومداخل الدور الكبيرة ونحوها نسبت إلى مصر لأن شكل بنائها منقول منها. أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ فاس، درا منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.48.

⁷⁵ Beaussier, M., Op. Cit., pp.936-937.

⁷⁶ Dozy, R., Supplément aux dictionnaire arabes, tome :II, librairie du liban, p.605.

⁷⁷ Bel, A., « Note sur une inscription de habous du musée de Tlemcen », in, Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1910, p.249.

⁷⁸ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.59.

⁷⁹ نفسه، ص.207.

كما تذكر المصرية التي بنيت فوق إصطبل في وقفية مسجد لالا الغربية في السطر السابع في العبارات التالية: "...مع مصرية فوق الاصطبل..."⁸⁰

إلا أن جميع هذه المصريات لم يعد لها وجود لأن الأماكن التي كانت موجودة بها طرأ عليها تغيرات كثيرة.

8- الدراز: درز - دَرَز : الدَرَزُ: بالفتح: (نعيم الدنيا ولذاتها) عن ابن الأعرابي، قال: (ودَرَزَ) الرجل، (كفرج)، وكذلك دَرَزَ، بالذال أو الدال، إذا (تمكن منها) أي من نعيمها. و الدَرَزُ: واحد (دُرَز الثوب) ونحوه، وهو فارسي (معرب). ويقال: دَرَزُ الثوب: زُبُرُهُ وَمَاؤُهُ. (و) أولاد دَرَزَة أيضا: (الخياطون). ويقال: أولاد دَرَزَة هم (الحاكة). دَرَزَ الخياط الدُرُوزَ، أي دققها. والدَرَزِيُّ، بالفتح: الخياط. والعامة تضم الدال ويقولون في الجمع الدُرُوز، والصوابُ الدَرَزَةُ.⁸¹

ذكرت محلات الحاكة في النص الوقفي لمسجد سيدي عمران، حيث كان المسجد تقريبا محاطا بثلاث دروز، كما يبدو ذلك في السطرين الثاني والثالث في العبارات التالية: "جامع سيدي/ عمران فمن ذلك دراز عن يمينه وءاخر/ عن يساره وثالث تحته..."⁸²

كانت هذه الصناعة من أهم الصناعات التي عرفتها مدينة تلمسان في جميع العصور التي مرت بها، وهذا ما أكده يحي بن خلدون في قوله: "غالب تكسبهم الفلاحة و حوك الصوف يتغايون في عمل اثوابه الرقاق. فتتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق، والأحزام من خمس، بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لديهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا."⁸³

كما يذكر (بال-Bel) و(ريكار-Ricard): "أن تلمسان بلغت أوج إزدهارها في الصناعة النسيجية في القرن 9هـ/15م، حيث كانت تحتوي على 4.000 ورشة حياكة أي 40 مرة أكثر من يومنا الحالي، بينما أدلت عملية الإحصاء التي جرت سنة 1849 على وجود 500 ورشة فقط، واستمر العدد في التنازل مع مرور الوقت"، كما أعطنا كل من (بال-Bel) و(ريكار-Ricard) مواقع ورشات النسيج والحياكة، التي بقيت في مدينة تلمسان في سنة 1912، والتي كانت موزعة في أحياء الأهالي، فهي تقع بنفس الأحياء التي يسكنون بها، إذ تقع ورشات الكراغلة في ضواحي مبعثرة بحي (هايدو-Haëdo)/شارع فلوسان حاليا) و(لموريسيار-Lamorcière)/شارع الإخوة ابن شكرا حاليا) أما ورشات الحضر فهي موجودة بالعكس متقاربة من بعضها البعض، إذ هي مجمعة في أسفل المدينة على حواف شارع بني زيان و بن عبو.⁸⁴

⁸⁰ نفسه، ص. 281.

⁸¹ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: علي هلال، مراجعة: عبد الله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج، المجلد: 15، مطبعة الكويت، الطبعة الثانية، الكويت، 1987، ص. 144 و 145.

⁸² للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص. 298.

⁸³ يحي ابن خلدون، المرجع السابق، ص. 92.

⁸⁴ Bel, A., et Ricard, P., Le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1913, p.55.

9- المعاصر:

كانت المعاصر مخصصة لعصر العنب ونحوه، مما له دهن أو شراب؛ وهي عبارة عن أبنية ملحقة ببعض الأبنية الأخرى أحيانا أو مستقلة قائمة بذاتها في أغلب الأحيان، أما ما عرف منها في العصر الإسلامي فإنحصر في معاصر الزيت من بذور السمسم والكتان ونحوهما، ومعاصر قصب السكر وغيره.⁸⁵

عند دخول المستعمر الفرنسي إلى تلمسان، وجد معاصر الزيت لا زالت تعمل، وكان بعضها يقع بداخل المدينة، في الشارع المسمى بهذه الحرفة: وهو شارع الزيوت، أما باقي المعاصر فكانت موجودة بضواحي المدينة في القلعة والصفصاف، ولقد قام المستعمر الفرنسي باستغلال هذه المعاصر، إذ كان يحيط بمدينة تلمسان عدد كبير من الأشجار الزيتون، حيث قدر عدد المعاصر آنذاك بست معاصر.⁸⁶ لقد ذكرت معصرة الزيتون في النص الوقفي للزاوية اليعقوبية في السطر الرابع عشر "معصرته ورحاها وجميع المحبس".⁸⁷

وأخيرا فمن خلال ما ذكر تعتبر الكتابات الوقفية مادة تاريخية وأثرية هامة لا بد على كل باحث الإعتماد عليها، لكونها وثائق قضائية رسمية، تعطي حقائق لا يمكن الطعن فيها أو تزويرها، لأنها تسليط الضوء على عدة مواضيع خاصة بالمجتمع في مجالات عديدة إقتصادية، إجتماعية، ثقافية، عمرانية وصحية وغيرها.

⁸⁵ عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص.290.
⁸⁶ Lecocq, A., Op. Cit., p.310.
⁸⁷ للمزيد من المعلومات حول النصوص أنظر: ليلي مرابط، المرجع السابق، ص.76.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

- 1- ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، درا منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- 2- ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزء الأول، الجزائر، 1980.
- 3- ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد الخطيب)، أنس الفقير وعز الحفير، إعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي و أودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.
- 4- ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 5- ابن مريم (محمد)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- 6- بوزيد (زكي)، تلمسان مدينة العيون جولة أدبية وفنية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، منشورات CPS، الجزائر، 2011.
- 7- تلمسان مدينة العيون، جولة أدبية وفنية، مدخل، مجموعة نصوص وتعليق: محمد سهيل ديب، منشورات كونتينونتال باك سيرفيس (CPS)،
- 8- دحماني (صبرينة نعيمة)، جرد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان -دراسة تمهيدية لوضع الخريطة الأثرية- أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015.
- 9- رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
- 10- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، قاموس تراجم بأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، 1995.
- 11- الطمار (محمد بن عمرو)، تلمسان عبر العصور، دورها في السياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 12- العبدري (محمد)، رحلة العبدري، حققها وقدم لها: علي إبراهيم كروي، الطبعة الثانية، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005.

13- مرابط (ليلي)، الكتابات الوقفية في المغرب الأوسط، من القرن السابع إلى الثالث عشر الهجريين/ الثالث عشر إلى التاسع عشر الميلاديين، دراسة تاريخية- أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2016.

14- الوزان (حسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، الجزء الأول، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Bargès, J.J.L., Tlemcen souvenirs d'un voyage, imprimerie orientale de Nicolas Amenlon, Paris, 1859.
- 2- Beaussier, M., dictionnaire pratique arabe-français, nouvelle édition, revue, corrigée et augmentée par Mohamed Ben Cheneb, ancienne maison Bastide-Jourdan, Jules Carbonel, imprimerie de l'université, Alger, 1931.
- 3- Bel, A., « Note sur une inscription de habous du musée de Tlemcen. », in, Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques et scientifiques, 1910, p.244-250.
- 4- Bel, A., et Ricard, P., Le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1913.
- 5- Brosselard, Ch., « Les inscriptions arabes de Tlemcen. », in, Revue Africaine, n°15, 1859, pp.161-172 ; n°18, 1859, pp.321-340 ; n°22, 1860, pp.241-258 ; n°27, 1861, pp.161-173 ; n°29, 1861, pp.321-336 ; n°33, 1862, pp.161-172.
- 6- Charpentier, A., et autres, L'image de Tlemcen dans les archives français, catalogue de l'exposition, réalisée sous l'égide de l'ambassade de France en Algérie, Tlemcen, 2011.
- 7- Lecocq, A., Histoire de Tlemcen, ville française, tome:1, l'administration militaire, 1842-1852, p.221-223.
- 8- Marçais, G., et W., les monuments arabes de Tlemcen, ancienne librairie Thorin et fils, Albert Fontemoing, éditeur, Paris.
- 9- Mas Latrie, L. De, Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, librairie De Fermin Didot et Cle, Paris, 1886.